أثر عَمْرو بنِ العَاصِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ إِذَا وَقَعَ فَإِنَّمَا يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ، فَتَجَبَّلُوا مِنْهُ فِي الْجِبَالِ»!

سئلت عن الأثر الذي رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/٢٢٥) (١٦٩٧) قال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ - وهو: ابن إبراهيم بن سعد الزهري-، قال: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ، قال: حَدَّثَنِي أَبَانُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَابِّهِ، - رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ كَانَ خَلَفَ عَلَى أُمِّهِ بَعْدَ أَبِيهِ كَانَ شَهِدَ طَاعُونَ عَمَوَاسَ - قَالَ: لَمَّا اشْتَعَلَ الْوَجَعُ، قَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ يَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ". قَالَ: فَطُعِنَ فَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ، وَاسْتُخْلِفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَقَامَ خَطِيبًا بَعْدَهُ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ مُعَاذًا يَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَقْسِمَ لِآلِ مُعَاذٍ مِنْهُ حَظَّهُ". قَالَ: فَطُعِنَ ابْنُهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاذٍ، فَمَاتَ، ثُمَّ قَامَ فَدَعَا رَبَّهُ لِنَفْسِهِ، فَطُعِنَ فِي رَاحَتِهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ يُقَبِّلُ ظَهْرَ كَفِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: "مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِمَا فِيكِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا".

فَلَمَّا مَاتَ اسْتُخْلِفَ عَلَى النَّاسِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا فَقَالَ: **"أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ إِذَا وَقَعَ فَإِنَّمَا يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ، فَتَجَبَّلُوا مِنْهُ فِي الْجِبَالِ"**.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُو وَاثِلَةَ الْهُذَلِيُّ: "كَذَبْتَ وَاللهِ، لَقَدْ صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْتَ شَرٌّ مِنْ حِمَارِي هَذَا".

قَالَ: "وَاللهِ مَا أَرُدُّ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ"، "وَايْمُ اللهِ لَا نُقِيمُ عَلَيْهِ"، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَدَفَعَهُ اللهُ عَنْهُمْ.

قَالَ: "فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْ رَأْيِ عَمْرٍو، فَوَاللهِ مَا كَرِهَهُ".

قلت:

رواه الطبري في «تاريخه» (٦١/٤) أيضاً عن ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن محمد بن إسحاق، به.

قال الهيثمي في «مَجمع الزوائد» (٣١٦/٢): "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَشَهْرٌ فِيهِ كَلَامٌ، وَشَيْخُهُ لَمْ يُسَمَّ".

وقال المعلقون على مسند أحمد: "إسناده ضعيف، شهر بن حوشب ضعيف، وشيخه فيه مجهول".

وأورد ابن عساكر في «تاريخه» (١٠٧/٦٨) قال: "رجل من الأشعريين: كان زوج أم شهر بن حوشب، حكى عن أبي عبيدة، وشهد معه عمواس، إن لم يكن عبدالرحمن بن غنم الأشعري فهو غيره، حكى عنه ربيبه شهر".

وقال في ترجمة «أبي واثلة الهذلي» (٢٦٦/٦٧): "لا أعرف أبا واثلة إلا في هذه الرواية، وقد رويت هذه القصة من وجه آخر عن شهر عن عبدالرحمن بن غنم الأشعري، وسمّى فيها شرحبيل بن حسنة بدل أبي واثلة، والله أعلم".

قلت: حديث شهر عن ابن غنم:

رواه أحمد في «مسنده» (٢٨٧/٢٩) (١٧٧٥٣) عن عَبْدالصَّمَدِ بن عبدالوارث، عن هَمَّام بن يحيى العَوْذي.

وابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٢٩٨/١) (١٠٩٧) عن أَبِيه، عن مُعَاذ بن هِشَام الدستوائي، عن أَبِيه.

كلاهما (همام، وهشام) عن قَتَادَة، عَنْ شَهْرٍ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ، قَالَ: لَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِالشَّامِ، خَطَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ النَّاسَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْسٌ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَفِي هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ قَالَ: فَغَضِبَ فَجَاءَ وَهُوَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ مُعَلِّقٌ نَعْلَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: "صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمْرٌو أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ، وَلَكِنَّهُ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَوَفَاةُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ".

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٠٥/٧) (٧٢٠٩) من طريق مُسْلِم بْن إِبْرَاهِيمَ، عن هَمَّام، عن قَتَادَة، وَمَطَر الْوَرَّاق، كلاهما عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، بنحوه.

ورواه البزار في «مسنده» (١١٤/٧) (٢٦٧١) عن يَعْقُوب بْن نَصْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُالْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ، عَنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ بْنِ عَمِيرَةَ أَنَّهُ: "قَدِمَ مَعَ مُعَاذٍ مِنَ الْيَمَنِ فَمَكَثَ مَعَهُ فِي دَارِهِ، وَفِي مَنْزِلِهِ فَأَصَابَهُمُ الطَّاعُونُ فَطُعِنَ مُعَاذٌ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَأَبُو مَالِكٍ جَمِيعًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حِينَ حَسَّ بِالطَّاعُونِ فَرَّ وَفَرِقَ فَرَقًا شَدِيدًا، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَفَرَّقُوا فِي هَذِهِ الشِّعَابِ فَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَا أَرَاهُ إِلَّا رِجْزًا وَطَاعُونًا، فَقَالَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ: كَذَبْتَ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِكِ، فَقَالَ عَمْرٌو: صَدَقْتَ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: كَذَبْتَ لَيْسَ بِالطَّاعُونِ، وَلَا الرِّجْزِ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ رَبِّكُمْ وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَقَبْضُ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ فَأْتِ آلَ مُعَاذٍ النَّصِيبَ الْأَوْفَرَ مِنْ

هَذِهِ الرَّحْمَةِ، قَالَ: فَمَا أَمْسَـــى حَتَّى طُعِنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُهُ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ يُكَنَّى بِهِ فَرَجَعَ مُعَاذٌ مِنَ الْمَسْـــجِدِ فَوَجَدَهُ مَكْرُوبًا فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، كَيْفَ أَنْتَ؟ فَاسْـــتَجَابَ لَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَتِهِ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ، فَقَالَ مُعَاذٌ: وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَتَجِدُنِي مِنَ الصَّابِرِينَ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَدَفَنَهُ مِنَ الْغَدِ فَجَعَلَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُرْسِلُ الْحَارِثَ بْنَ عَمِيرَةَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ يَسْـأَلُهُ كَيْفَ هُوَ؟، فَأَرَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ طَعْنَهُ بِكَفِّهِ؛ فَبَكَى الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ وَفَرِقَ مِنْهَا حِينَ رَآهَا؛ فَأَقْسَـــمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِاللَّهِ مَا يُحِبُّ أَنَّ لَهُ مَكَانَهَا حُمْرَ النَّعَمِ قَالَ: فَرَجَعَ الْحَارِثُ إِلَى مُعَاذٍ فَوَجَدَهُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَبَكَى الْحَارِثُ، وَاسْـتَبْكَى..." الحديث.

ورواه ابن أبي شـيبة (١٦١/٦) (٣٠٣٣٥) عن أَبي مُعَاوِيَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرٍ الزُّبَيْدِيِّ، قَالَ: وَقَعَ الطَّاعُونُ بِالشَّـامِّ فَقَامَ مُعَاذٌ بِحِمْصٍ فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكَمْ.. مختصراً.

فتحصّل من هذا أنه اختلف على شهر بن حوشب فيه على عدّة أوجه:

- رواه أَبَانُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ زوج أمّه.

- ورواه قَتَادَة ومطر الوراق، عَنْ شَهْرٍ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ.

- ورواه عَبْدُالْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامَ، عن شَهْر، عن عَبْدالرَّحْمَنِ بن غَنْمٍ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ عَمِيرَةَ.

- ورواه دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ شَهْر، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرٍ الزُّبَيْدِيِّ.

فالظاهر أن شـهر بن حوشـب كان يضـطرب في إسـناده، ومن المعروف أنه يضـطرب في رواياته، لكن كيفما دار إسـناده، فهذه القصـة صـحيحة معروفة ومشهورة.

وهي قصــة تاريخية لا يُتشــدد فيها مثل الأحاديث المرفوعة للنبيّ صــلى الله عليه وسلم، وقد رُويت من غير طريق شهر بإسناد لا بأس به.

رواه أحمد في «مســـنده» (٢٨٩/٢٩) (١٧٧٥٤) عن مُحَمَّد بْن جَعْفَرٍ، قال: حَدَّثَنَا شُـعْبَةُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُمَيْرٍ، عَنْ شُـرَحْبِيلَ بْنِ شُـفْعَةَ، قَالَ: وَقَعَ الطَّاعُونُ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّهُ رِجْسٌ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ، فَقَالَ: "لَقَدْ صَـحِبْتُ رَسُـولَ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، وَعَمْرٌو أَضَـلُّ مِنْ بَعِيرِ أَهْلِهِ، إِنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَرَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، فَاجْتَمِعُوا لَهُ، وَلَا تَفَرَّقُوا عَنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَقَالَ: صَدَقَ".

والقصة مشهورة في الشام مرسلة أيضاً من مراسيل أبي قِلابة الجرمي.

روى أحمد في «مسـنده» (٤٤٩/٣٦) (٢٢١٣٦) قال: حَدَّثَنَا إِسْـمَاعِيلُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ: "أَنَّ الطَّاعُونَ وَقَعَ بِالشَّـــامِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّ هَذَا الرِّجْزَ قَدْ وَقَعَ فَفِرُّوا مِنْهُ فِي الشِّـعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَلَمْ يُصَـدِّقْهُ بِالَّذِي قَالَ فَقَالَ: بَلْ هُوَ شَـهَادَةٌ وَرَحْمَةٌ وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ اللهُمَّ أَعْطِ مُعَاذًا وَأَهْلَهُ نَصِيبَهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ...".

والحاصـــل أنه لما وقع الطاعون في الشـــام في عَمَوَاس، رأى عمرو بن العاص أن يتفرق الناس في الجبال، والشـــعاب، والأودية؛ لأن العدوى كانت شـــديدة فمات المئات منهم، ورأى غيره من الصـــحابة أنه شـــهادة ورحمة فتمنوا الموت، فمات أكثرهم رضي الله عنهم.

وكان عمر رضـي الله عنه قدم الشـام وأشـار عليه بعض الصـحابة أن يرجع ولا يدخلها بسـبب الطاعون، فرجع، ولما وصـل إليه خبر عمرو بن العاص ورأيه في تفرّق الناس لم يكرهه، وكأنه أعجبه.

ومن شـــدة الموت في ذلك الطاعون كما روى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ، قَالَ: "عَلَّقَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِعَمُودِ خِبَائِهِ سَبْعِينَ سَيْفًا كُلُّهَا ورثه عن كلالة عام طاعون عمواس، ولم يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ لأَحَدٍ: كَيْفَ أَصْـبَحْتَ وَلا كَيْفَ أَمْسَـيْتَ حِينَ كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ".

فاللهم الطف بالمسلمين، وارفع عنهم الوباء، والبلاء.